

ابن ناصر بن شهرة :رائد من رواد المقاومة في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875

أ. عيسى بوقرين

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلماطة اللثام عن شخصيات المقاومة في الجنوب الجزائري و بالأخص في منطقة الجنوب الشرقي التي عرفت قيادة جماعية للمقاومة استمرت ربع قرن من الزمن من سنة 1850 وإلى غاية سنة 1875 و في رقعة جغرافية واسعة امتدت حتى خارج التراب الوطني خاصة على الحدود مع تونس، هذا البحث يكشف عن أحد قادة المقاومة في تلك المنطقة، والذي دعت المصادر الفرنسية بملاح الصحراء و وصفته بشقى النعوت كالعدو الذي لا يلين، و يسميه الدكتور ابو القاسم سعد الله رحمه الله بشيخ المقاومين و ذلك بسبب نزوله عن صهوة جواده و هو في سن السبعين، استطاع من خلال مسيرة بدأها مع الأمير عبد القادر منذ نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر و أنهاها منفيا من تونس إلى الشام سنة 1875 استطاع أن يعرقل لفترة زمنية طويلة زحف الفرنسيين على الصحراء الجزائرية الكبرى.

الكلمات المفتاحية: ابن ناصر بن شهرة، الصحراء، الأغواط، الأربعاء، الشريف محمد بن عبد الله، ورقلة، سي حمزة،

Abstract :

This research aims at revealing the personalities of the resistance in the south of Algeria, especially in the south-east, which was known as the collective leadership of the resistance for a quarter of a century from 1850 until 1875 and in a wide geographical area that extended even outside the national territory, , This research reveals one of the leaders of the resistance in that region, who was nicknamed by the French sources the sailor of the desert and described him with various denominations as the enemy that does not soften, and Dr. Abu Qasim Saad Allah, may Allah have mercy on him, called him the elder of the fighters and that because

he got off his horse at the age of Seventy, managed through a process initiated with Prince Abdul Kader- Since the end of the thirties of the nineteenth century and the end of exile from Tunisia to Syria in 1875 he was able to impede for a long time the march of the French on the Sahara.

مقدمة:

كان لظهور شخصية ابن ناصر بن شهرة على مسرح الأحداث خلال فترة الخمسينات أثره البالغ على حركة المقاومة الشعبية في الصحراء الجزائرية بشكل عام وخاصة في منطقة الجنوب الشرقي بشكل خاص، بعد تحالفه مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله وقيادتهما لمقاومة استمرت فترة طويلة من الزمن، ومشاركته في كل المقاومات في تلك الفترة خاصة مع أولاد سيدي الشيخ 1864، ومع الشريف يوشوشة سنة 1896، ثم في ثورة المقراني سنة 1871، فن هي هذه الشخصية ؟ وما هي أبرز الأدوار التي لعبها؟ وهل انضمامه للمقاومة يعد فعلا إضافة حقيقية لمنع الزحف الاستعماري نحو الجنوب؟.

يهدف هذا البحث إلى استكمال كتابة تاريخ المقاومة الشعبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، من خلال الكشف عن شخصية محورية لعبت دورا كبيرا في المقاومة في منطقة الجنوب الشرقي، هو ابن ناصر بن شهرة الذي خاض مقاومة فاقت الربع قرن وامتدت إلى مناطق واسعة داخل الوطن وحتى خارجه.

1/ شخصية ابن ناصر بن شهرة:

هو ابن ناصر واسم أبيه ابن شهرة ابن فرحات¹، ولد سنة 1804 بضواحي الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سي عيسى من عرش المعامرة المنتمية بدورها إلى قبيلة الأربع الكبرى التي تسكن تلك المضارب ، وهو من عائلة توارثت المجد والقيادة ، وقد تربى في وسط يتفاخر فيه الناس

¹ تذكر أحد المصادر الفرنسية أن أصل ابن ناصر بن شهرة يعود إلى أحد أشرف الساقية الحمراء يدعى علي قدم في حدود سنة 1570 إلى منطقة الزاب حيث مكث هناك عند قبيلة المعامرة وهاجر معها في حدود سنة 1635 إلى مناطق الأغواط وشيئا فشيئا تبوأ أفراد هذه الأسرة مكانة مرموقة داخل القبيلة حتى صاروا أسيادا عليها. أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar : A.O.M 10 H 78.

ومن خلال ما تقدم فإن هذه الرواية تبقى محل شك لسببين: الأول أن معلوماتها غير موثقة ولا يوجد مصدر لها، و السبب الثاني أن المصادر الفرنسية عادة ما تنسب أبرز الشخصيات الجزائرية إلى أشرف من الساقية الحمراء والمغرب الأقصى و كأنها تنفي صفة الشرف عن الجزائريين تماما.

بالشهادة و البطولة و الفروسية، فنشأ فارسا شجاعا و اشتهر جده فرحات بالشجاعة و الكرم مما أهله لأن يكون قائدا على قبائل الأرباع كلها¹.

و قد ورث هذه السيادة أيضا حفيده ابن ناصر، و هو أيضا شخصية مرموقة، حفظ القرآن الكريم منذ صغر سنه على عادة أهله، و تعلم مبادئ الفقه على يد مشايخ الطريقة القادرية و من أبرزهم الشيخ أحمد الشاوي بالأغواط، و بذلك كله اكتسب قدرات كبيرة جعلته قائدا و فارسا مغوارا، و ارتقى عرش السيادة بدوره على قبائل الأرباع سنة 1846².

تعتبر قبائل الأرباع إحدى أكبر القبائل في الصحراء في ذلك الوقت و التي كانت ترحل نحو المناطق التالية في فصل الصيف قصد تبادل المنتجات المختلفة مع مختلف القبائل الأخرى و التزود بالقمح³، و حينها كان الأمن مفقودا في الطرق التجارية تلك، لذلك لا يقدر على التنقل إلا من كان شجاعا و يستطيع الدفاع عن الأهل و الأموال و الماشية، و كان هذا بالنسبة لابن ناصر مدرسة الحياة الحقيقية في تعلم شؤون القيادة السياسية و الاجتماعية و الحرية، و لما كان هذا نسبه و دأبه كان مطمح مصاهرة من قبل قادة و مشايخ المنطقة، و بخاصة الذين عرفوه عن قرب و منهم أحمد بن سالم شيخ الأغواط⁴، الذي أراد بمصاهرته تقوية صفه ضد أعدائه من المنافسين له على سلطان الحكم، لذلك كان هذا أول زواج له حيث أنجب بنتا، و لما اصطدم بالنفوذ الفرنسي في المنطقة و رفض الخضوع له طلب من زوجته أن ترحل معه إلى أعماق الصحراء للهجرة و الجهاد، فلما رفضت طلقها، و توفيت ابنته منها بعد ذلك⁵.

و قد تزوج ثانياة الياقوت بنت محمد بن عبد الله شريف ورقلة عندما تحالف معه على الجهاد في الصحراء منذ سنة 1851، و قد أنجبت له ولدين الأول يدعى محمد و الثاني يدعى بن شهرة على

¹ أحمد قصيبة : ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 مجلة الأصالة عدد 06، جاني 1972 ص 56 .

² كان زعيم الأرباع هو قندوز بن علي من أجداد بن شهرة تقلد عدة مناصب تحت سلطة العثمانيين وظهر بعده ابنه أحمد الشاوي و ذلك ما يدل على أن ابن ناصر و أحمد بن الشاوي بينهما علاقة قرابة وأيضا فان عائلة بن ناصر بن شهرة منذ القدم و هم من قادة قبيلة الأرباع أنظر:

Charles Féraud: Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs, Alger 1887 p. p 133.134.

³ المبرش: عدد 95 شهر أوت 1851.

⁴ أصبح أحمد بن سالم شيخا على الأغواط منذ سنة 1828، متضررا بالسلطة بعد أن أزاح من طريقه بن شهرة بن فرحات، أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur : OP, Cit.

⁵ أحمد قصيبة : المرجع السابق ص 57.

اسم جده¹، و بعد وفاة زوجته الياقوت تزوج مرة ثالثة بالمرابطة " نوة " أخت السيد مولاي عبد القادر الإدريسي من أولاد سيدي الشيخ ، وقد أنجبت له ولدان فرحات ويحيى و ثلاث بنات، وهي التي رافقته إلى المشرق سنة 1875، ثم بعد وفاته رجعت بأبنائها إلى الجزائر ، وبالضبط إلى مسقط رأس أبيهم².

أما عن أوصاف هذا البطل فهو أشقر اللون، أحمر الشعر و خاصة لحيته ، كثيف شعر الحاجبين، دائري الوجه مدرع البنية له بندقية فريدة من نوعها³، ماهرا في الرماية أول الصف في المعركة ، يلبس الحائك من الصوف و يعتم (يلبس العمامة) مثل الأمير عبد القادر، و كان إذا حمى وطيس المعركة يتنقب (أي يتلثم)⁴، كان عالما بدقائق الأرض الصحراوية حتى كان يلقب بالملاح الحقيقي للصحراء⁵، كلما حاول الفرنسيون حصاره للقبض عليه انفلت منهم بأعجوبة، و تسلل من من الحصار بسبب معرفته الكبيرة بخفايا الصحراء، بطلا شجاعا دام كفاحه أكثر من ربع قرن ضد الاستعمار الفرنسي 1851 - 1875 محاولا دحره وصدّه عن التوسع في الصحراء لا يجب الزعامة إلا إذا أرغم عليها وجد التأييد في الجنوب التونسي بصحراء الجريد و بخاصة لدى الزاوية الرحمانية بنفطه و التي كانت ملجأ للثوار الجزائريين و الفارين بدينهم من الاستعمار و ضل يناوش الاستعمار من هناك على الحدود مدة طويلة من الزمن في حرب الكر و الفر، ومنذ 1851 لم يتوقف هو أتباعه من الأرباع عن الحرب ضد الاستعمار أو القبائل المتعاونة معه⁶.

¹ محمد قيل أنه قتل مسموما في قرية الادريسية من طرف الدوائر الاستعمارية بعد رجوعه من بيروت ، وبعدها وعدته فرنسا بمنصب قائد . أما ابن شهرة بعدما رجع من الشام اشترك مع السنوسيين في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي و استشهد سنة 1912. أنظر: إبراهيم ميايبي أطماع فرنسا في الأغواط مجلة الرؤية، عدد 02 ، 1996.

² نسخة عن جواز سفر السيدة نوة صادرة بقنصلية فرنسا بدمشق سنة 1889 موجود عند أحفاد العائلة بالأغواط.

³ هناك الكثير من الأشعار الشعبية التي تفاخر ببندقيته نذكر منها ما قاله أحد الشعراء المجهولين:

رافدها ابن ناصر يتكيسر لا يحها على المنكب الأسر

ملها من الخلدري يمسح حري من الفلكة يقصص

⁴ أحمد قصيبة: المرجع السابق ص 57 .

⁵ louis Rinn: *L'insurrection De 1871 En Algérie*, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 663.

⁶ يقول لويس رين : " في نفطه ، كان بن ناصر ابن شهرة الذي خلف أباه كأغا على الأرباع سنة 1846 يقوم منذ سنة 1851 بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ، و لم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو قبائلنا التي رضخت لنا، أنظر:

louis Rinn: Op, Cit, P 88.

قال فيه أحد الثوار¹ قولاً مشهوراً: (في الخليل عودي وفي الرجال ابن ناصر بن شهرة) وهذا دليل على مكانة الخليل التي كانت الأداة الهامة في جهاد الثوار و اعتراف الأبطال بالأبطال، إذ لا يعرف البطل إلا البطل، ساهم بشكل كبير في الكثير من المقاومات و الانتفاضات كمقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة 1851، و مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864 و بوشوشة في الصحراء 1869، وثورة المقراني و الحداد سنة 1871، جاب كل الصحراء من الشرق إلى الغرب قصد استنفار الهمم و الحث على الجهاد ،فشكل بذلك أول قيادة جماعية للمقاومة² و كان بحق الرابطة الحقيقية و همزة وصل بين كل الثورات و الانتفاضات التي اشتعل فتيلها ابتداء من خمسينات القرن التاسع عشر و الى غاية 02 جوان 1875 حيث نفى من قبل باي تونس و الذي أذن له بالركوب من مرسى حلق الوادي إلى بيروت، و منها إلى دمشق حيث أمضى بقية حياته مجاوراً للأمير عبد القادر إلى أن توفي سنة 1884³.

2/ بداية مقاومته 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكويناً عسكرياً في مدرسة الأمير عبد القادر الحربية و الوطنية و كان من فرسانه الشجعان ، و كان له تأثير كبير على الثوار في جمع الكلمة و الانضباط و نشر العاطفة الدينية و الوطنية⁴ إلا أن مشواره الجهادي قد بدأه منذ احتلاؤه قيادة الأرباع سنة 1846،

¹ هو الشهيد بوديسة المختاري ابن بن عودة زعيم قبيلة أولاد مختار من قصر البخاري و الذي سجن بفرنسا و الأغواط و استشهد سنة 1864 في إحدى معارك ابن ناصر ابن شهرة أنظر :

Trumelet: Les Français dans le désert: journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien, deuxième Édition, Challamel Aîné Editeur, Paris 1885.pp. 17.26 et

44

² القيادة الجماعية التي شكلها ابن ناصر ابن شهرة لقيادة المقاومة في تلك المرحلة تعني مشاركة القيادة مع محمد بن عبد الله شريف ورقلة و أولاد سيدي الشيخ في نواحي البيض ثم مع بوشوشة في الجنوب و أخيراً مع آل المقراني في نهاية ثورتهم.

³ يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980، ص 156.

⁴ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 379 .

لا نعتقد أن الدكتور أبو القاسم سعد الله ذكر هذا الكلام بدون دليل، و منه فنحن نعتقد أن ابن ناصر بن شهرة فعلاً كان أحد رجال الأمير عبد القادر ، و قد يكون سائده في حملته على عين ماضي منذ سنة 1838، ثم كلفه الأمير عبد القادر بجمع المؤن و الرجال و السلاح و الدليل على ذلك تلك الرسالة التي بحث بها الأمير لابن ناصر بن شهرة يسأله فيها عن موقعه و بعض المعلومات الأخرى. هذه الرسالة موجودة لدى إحدى العائلات في ولاية تسمسيلت اطلعنا على محتواها و لكن لا نملك نسخة منها.

حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي¹ و ذلك بالرغم من العروض المغربية التي كان القائد العام لمنطقة المديّة " الجنرال لادميرول " Ladmirault يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، و كان آخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم كاروس " Carrus بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالقرب من بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية³.

و على غير العادة كانت في لهجة المبعوث " كاروس " وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد و الوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض ، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار ، فحضر هو وأخوه أبو بكر كمينا لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية و يعلن بذلك قيام انتفاضته ، فجرد المبعوث

¹ تشير الوثائق الأرشيفية أن قبائل الأرباع بدأت تمردا منذ اعتلاء ابن ناصر بن شهرة قيادتها سنة 1846، و تمثل تمردا على السلطة الفرنسية من خلال مثل هذه الأخيرة في المنطقة الشيخ أحمد بن سالم، حيث امتنعت عن دفع الضرائب له، مما جعل سلطات الاحتلال الفرنسي تراقب بشكل مستمر هذه القبيلة و تحاول اغراءها بمختلف الطرق من أجل تقديم فروض الولاء، لكن دون جدوى، حيث ظلت طيلة خمس سنوات حتى أعلنت قبائل الأرباع تمردا بشكل رسمي سنة 1851. أنظر:

تقرير لرئيس المكتب العربي بالمدينة مؤرخ بتاريخ جوان 1850 يظهر تمرد الأرباع منذ سنة 1846 المصدر: A.O.M 2 H 10

² الملازم كاروس Carrus من مواليد مارسيليا، يهودي الأصل، يحكم العربية بطلاقة كلف منذ سنة 1849 بمهمة مراقبة قبيلة الأرباع خاصة بعد ورود معلومات عن تمردا غير المعلن ضد السلطة الفرنسية ، ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب ، لكن كل محاولته من أجل اخضاع الأرباع باءت بالفشل. أنظر:

Du Baril : Mes Souvenirs T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895, P 11

أنظر أيضا تقرير الملازم كاروس عن مراقبته لقبيلة الأرباع مؤرخ في 11 فيفري 1851. المصدر: A.O.M 2 H 1

³ هناك اختلاف حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة في عدة مصادر فرنسية منها مثلا:

أن لويس رين louis Rinn ادعى أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم ورفض الفرنسيون أن يعينوه أظا على الأرباع عام 1846 خلقا لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه و وضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر:

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو Charles Féraud فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقا قديما لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة) ، و لما أصبح ابن ناصر قائد على الأرباع سنة 1846 نشب خلاف بينهما ، فقرر ابن ناصر التغلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر:

Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134

و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فطلما حودنا مؤرخي المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .

"كاروس" و جنده من أسلحتهم¹ و نزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم، ثم أطلق سراحهم و أمرهم بالعودة من حيث جاؤوا²، و ليبلغوا من بعثهم بأن " ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين و الاستقلال " و هو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله³.

و مباشرة بعد ذلك انسحب ابن ناصر بن شهرة جنوبا و قد لاحقته القوات الفرنسية التي استطاعت أن تجرد زمالته من بعض رؤوس مواشيها في الشهبونية⁴، و قد وجهت نداء لكل الوحدات الفرنسية في تلك المناطق رفقة العملاء باعتراض قافلة ابن ناصر بن شهرة و محاولة القبض عليه⁵.

توجه ابن ناصر جنوبا نحو الأغواط و تحصن بقصر الحيران بعد أن تمّون بالشكل الكافي ، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله، الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق و استقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري، و تفاهما على العمل و التنسيق المشترك بينهما ، و كان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851⁶، كما اتصل سكان المدينة بابن ناصر بن شهرة و خاصة أعيانها للتعاون معه.

3/ تحالفه مع الشريف محمد بن عبد الله :

إن اتصال شريف ورقلة محمد بن عبد الله بابن ناصر بن شهرة في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب المدية شمالا إلى غاية جنوب ورقلة و عين صالح في الجنوب و إلى تمرت و بسكرة و تبسة شرقا و حتى البيض و تيارت غربا، و ضمنت ولاء الكثير من القبائل

¹ Ladmirault : Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra, A.O.M 2 H 10

² الميشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851 ص 3.

³ Barbier J : Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie, Librairie De L. Hachette, Paris, 1855, P334.

⁴ مباشرة بعد حادثة بوغار و وصول الملائم كاروس للمدية و ابلاغ مسؤوليه بما حدث، استنفرت جميع الوحدات العسكرية و أعطيت الأوامر بضرورة القضاء على هذا التمرد في مهده أنظر: تقرير الجنرال لادميرول قائد مقاطعة المدية حول ملاحقة الأرباع بعد إعلان تمردهم. المصدر: A.O.M 2 H 10.

⁵ في رسالة من الجنرال لادميرول إلى أحمد بن سالم شيخ الأغواط يحاول قائد مقاطعة المدية أن يطبق سياسة فرق تسد بين أبناء المدينة في محاولة لضرب ثورة ابن ناصر بن شهرة في مهدها. المصدر: A.O.M, 2H 10.

⁶ Louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

الكبيرة كالخادمة و سعيد عتبة و الأرباع و أولاد نايل و الشّعانة و غيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب .

ففي رسالة بعث بها ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آغا أولاد نايل يؤكد التحاقه بالشريف محمد بن عبد الله و عزمه على مقاومة الاستعمار و يدعوه لذلك، و مما جاء فيها: " محبنا و غاية ودنا السيد محمد الشريف...السيد محمد بن عبد الله قدم و ميعاد المخادمة و الشعانة معه...و لم تبق لنا طمعة في بلاد الفرنضيص... و انت حسباك منا و إلينا و حسبنا نحن لك و عليك، و انت في موضعنا... الوصاية¹."

لم يكلف سي الشريف بالأحرش نفسه الرد على هذه الرسالة بل حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية².

بتحالف ابن ناصر بن شهرة مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله تشجع هذا الأخير و ازداد نفوذه و عزم فعلا على التحرك ضد الاستعمار و أعوانه، فزحف بتاريخ 11 ديسمبر 1851 على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة، و شعانة بوروبة (ورقلة)، و شعانة المواضي الذين قدموا من المنية لتدعيم صفوفه، و كانت وجهة الشريف هذه المرة "عقلة المقاديم"³ قرب الأغواط حيث تقطن اغلبية قبيلة أولاد سعد بن سالم⁴، الذين سارعوا إلى حمل اسلحتهم ، كما استنفرت القوات الفرنسية و أعطيت الأوامر لسي الشريف بالأحرش للتحرك نحو عقلة المقاديم، مدعوما بقبيلة أولاد نايل بقوات قدرها 500 فارس ، و بني الأغواط بقيادة الشيخ علي ابن أحمد بن سالم بقوة قدرها 150 فارس، و جبل عمور بقوة قدرها 150 فارس تحت قيادة الدين بن يحيى⁵.

لكن الشريف استطاع أن ينتصر عليهم، و قتل منهم حوالي 386 رجل كما غنم منهم الكثير من البنادق بالإضافة 500 رأس من الابل و 400 رأس من البقر و أكثر من 4000 رأس من

¹ رسالة من ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آغا أولاد نايل بدون تاريخ و قد تكون كتبت في شهر أكتوبر 1851 و الدليل على ذلك أن سي الشريف بالأحرش حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية، المصدر: H10 2

A.O.M,

² Mangin : Note Sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895, P40.

³ عقلة المقاديم: منطقة تقع بين بريان و الأغواط .

⁴ المبشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.

⁵ Lehuraux: Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens) L'Armée D'Afrique N° 54, 6ème Année 1929, P 123.

الغنم¹، ففي رسالة وجهها الشريف محمد بن عبد الله إلى مدير غدامس الحاج موسى آغا، يسرد فيها بعض تفاصيل هذه المعركة فيقول: " من محمد بن عبد الله إلى الفاضل الورع الحليم البدر الكامل مدير غدامس سيدي الحاج موسى آغا...وأما أنا عبد الله حين قدمت إلى بلاد ورقلة ففتح الله علينا بها و صارت محمية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله و خليفة الرومي فيها...و صاروا عربان ورقلة و قصورها و قبائل الشعانية و قصور تقرت و عربانها و الارباع و الحرازية و الحجاج و كثيرا من عربان الظهرة و قصور بني ميزاب كلهم تحت طاعة الله و رسوله و طاعتنا ، و المجاهدين كل يوم في زيادة...و بعث لنا الرومي دمره الله في هذه الساعة ثلاث محمل، محلة من بلاد العمور و محلة من بلاد الأغواط و محلة من جهة النوايل تلاقينا معهم و صرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصرنا عزيزا ، و أعلننا على أعدائه و وقع القتال بيننا بالبارود و السيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة و قتلنا منهم نحو ثلاثة مائة و ستة و ثمانون رجلا و قلعنا من الخيل كثير و البنادق بلا عدد و الخزنة و الابل و الاخبية و الحمد لله على ذلك.² "

كما بعث الشريف محمد بن عبد الله برسائل مماثلة إلى كل من سيدي الشيخ بن الطيب من قبيلة لأولاد سيدي الشيخ الغرابية، و إلى سيدي محمد بن المكي من زعماء قبيلة بني زناسن، و إلى سيدي محمد بن ملوك مقدم سيدي أحمد بن علي زيسين من بلاد عطية، و في هذه الرسائل يعرف بنفسه و كيف خرج نحو مكة، و التقاه بالشيخ محمد بن علي السنوسي، ثم عودته نحو الجزائر عبر طرابلس ثم غدامس، و منها إلى تقرت، و كيف استقر بورقلة ثم بداية كفاحه، كما يبشرهم بنصره في المعارك التي خاضها في شهر ديسمبر من سنة 1851 ضد الشريف بن الأحرش و أعوانه، كما يطلب في هذه الرسائل تقديم الدعم له بالرجال و السلاح.³

بعد ذلك أخذ الشريف محمد بن عبد الله يستعد لغزو مدينة بريان و كاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع و تقديم فروض الولاء و الطاعة لسلطته، غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربتة و تحدوه قائلين له: "إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد ."

¹ Charles Féraud : Op, Cit, P 491

² الرسالة مؤرخة بتاريخ 6 جمادي الثانية 1268 الموافق لشهر مارس 1852 أنظر: أحمد صديقي الدجاني: مرجع سابق ص 295.

³ للاطلاع على هذه الرسائل أنظر: Mangin : Op, Cit, Pp 112 ; 113 ; 114.

في هذه الأثناء انسحب سي الشريف بالأحرش نحو بني يزقن بغرداية الذين استقبلوه بحفاوة، و منحوه ما احتاجه لهذه المهمة، لكن وقع ما لم يكن في حسبانته بحيث اتصل كل من "بوزيان" و "بجرة" قادة بني الأغواط بالشريف محمد بن عبد الله في متليلي و وعدوه بانضمامهم إليه بتقديم 500 من المشاة لتدعيم صفوفه¹.

وفي مساء يوم 17 جانفي 1852 التقى الجميع في منطقة العقرب، حيث هاجم سي الشريف بالأحرش قوات الشريف محمد بن عبد الله، لكنه اكتشف خيانة بني الأغواط و جزء من أولاد يعقوب الذين انسحبوا إلى ضفة وادي جدي جنوب جبل بوكحيل، هذه الخيانة دفعت بسي الشريف بالأحرش إلى طلب النجدة من القائد العام لمنطقة بوغار حيث جاء في رسالته: " اذا كنتم فرنسيين كما أعرف بعصيتكم و شجاعتكم ... فلتأثروا لهذه الخيانة" و في الحال أمرت السلطة الفرنسية النقيب بيتي Capitaine Petit القائد الأعلى لمنطقة بوسعادة بنجدة و التوجه حالا إلى وادي جدي².

هذه الأحداث أدت بسلطات الاستعمار إلى التفكير من أجل وضع حاجز من القبائل الموالية لها لحماية حدودها في المناطق التالية، و لهذا السبب أمر الجنرال راندون³ Randon ، بتاريخ 7 فيفري 1852 الجنرال لادميرول⁴ Ladmirault في بوغار بتشكيل طابور متحرك من قبائل التيطري و

¹ Mangin : Op, Cit, P 41.

² Barbier J : Op, Cit, P 357.

³ الجنرال راندون Jacques-Louis-César-Alexander, Comte Randon : من مواليد 25 مارس 1795 بقرونيل Grenoble، تقلد عدة مناصب سياسية و عسكرية منها : عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، و وزير، مارشال سنة 1841، و حاكم عام للجزائر بين سنتي 1851 - 1858، تحصل على وسام الشرف في 24 ديسمبر 1853، توفي بجنيف في 16 جانفي 1871. أنظر:

Narcisse Faucon : Le Livre D'Or De L'Algérie, T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, PP 507,508

⁴ الجنرال لادميرول : Louis René Paul de Ladmirault من عائلة قديمة تنتمي إلى طبقة نبلاء أورليانس، ولد في 17 فيفري 1808 بمونت موروا، تدرج في الرتب العسكرية من ملازم سنة 1832 إلى قنصل سنة 1837، أين شارك في الحملة على قسنطينة، قائد كتيبة سنة 1840، ثم قائد مقاطعة شرشال، قاد حملة على بني مناصر سنة 1842 أدت إلى ترققه إلى رتبة عقيد سنة 1844، قائد مقاطعة المدية منذ سنة 1848. أنظر:

Maguy Gallet-Villechange : Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales, Vitae, Parçay-sur-Vienne, France, 2008, Pp, 11, 13.

قبائل التل قوامه 1500 فارس تحرك خلال شهر مارس في محاولة للتفاوض مع الأرباع و ثنيهم عن التمرّد¹، بالإضافة إلى قبائل أولاد نايل تحت قيادة سي الشريف بالأحرش و فعلا تشكل هذا الطابور المكون من 4 سرّيات من الفرقة الأولى للصباحية، 6 سرّيات من الفرقة الأولى لصيادي إفريقيا، كتّيبة من قناصة الأهالي، كتّيبتين من الخط 12 لمدفعية الجبل².

كما قامت سلطات الاحتلال بإعادة التنظيم الجديد للجنوب فأوكلت لسي الشريف بالأحرش قيادة كل قبائل أولاد نايل لمقاطعة المدينة، بينما رأت في أحمد بن سالم شيخ الأغواط بأنه الشخص غير المناسب لهذا التنظيم الجديد، و لا يملك مؤهلات للعب دورا مهم يحظى بثقة الإدارة الفرنسية لذلك استدعته إلى المدينة بحجة الاهتمام ببعض الأمور التجارية و عينت مكانه أحد أبناءه الشيخ علي لتسيير شؤون مدينة الأغواط ، كما عملت على عزل قبيلة الأرباع الكبرى و محاولة الدخول في مفاوضات معها من أجل ثنيها عن التمرّد³.

في هذا الاطار تحرك الجنرال لادميرول نحو الأغواط بتاريخ 22 فيفري 1852 و اتبع الطريق الذي سلكه "الجنرال ماري مونج"⁴ Marey Monge "قبله سنة 1844 حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة - و وصلت إلى الأغواط بتاريخ 01 مارس، حيث أعطى تعليمات لأحمد بن سالم ثم توجه نحو قصر الحيران حيث ترك هناك حامية عسكرية مكونة من كتّيبة الخط 12 و كوكبة من الصباحية، و بتاريخ 13 مارس عاد إلى الأغواط حيث التقى هناك بالكتّيبة الثانية للمشاة الإفريقية الخفيفة تحمل المؤونة قادمة من شرشال و لما أبلغ "الجنرال

¹ أنظر تقرير حملة الجنرال لادميرول قرب وادي مزي بالأغواط بتاريخ 3 مارس 1852. المصدر: A.O.M 2H 6-8.

² Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmiraull (Fev-Mai 1852). A.M.G, 2H14

³ المبرش: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.

⁴ ماري مونج (Guillaume-Stanislas) Marey-Monge :جنرال فرنسي ، عضو مجلس الشيوخ ، ولد في 17 مارس 1796 في نوي ، دخل سنة 1814 المدرسة متعددة التقنيات، كما انضم إلى المدرسة التطبيقية و التي تخرج منها الأول على دفعته، اختار سلاح المدفعية ، أصبح ملازما سنة 1824 و تقيما سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر ، شارك في العديد من الحملات العسكرية في الجزائر ، رقي الى رتبة مارشال سنة 1843، تحصل على وسام الشرف سنة 1854، و وسام الصليب سنة 1859 ، توفي سنة 1863. انظر :

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 414.

لادميرول " بقوة و مناعة ابن ناصر اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط¹، و كانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التودد و العروض المغربية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك العروض، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدينة و اعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة و اقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة و عتبة أساسية للتوسع في الصحراء².

في هذا الوقت أصبحت الوضعية خطيرة بالنسبة لفرنسا في جنوب مقاطعة وهران و في جبل العمور خاصة بعد الضغوط و التهديدات من قبل الشريف محمد بن عبد الله على أولاد سيدي الشيخ الذين يقودهم الأغا سي حمزة³، الرجل الذي يتمتع بنفوذ ديني كبير عند كل قبائل المنطقة و الذي جمع أنصاره من أجل التحرك نحو الجنوب للقضاء على هذه التمردات، من جهة أخرى جمع الرائد دوليني⁴ Commandant Déléigny قواته في تيارت و المكونة من كتبية للشاة و السرية الثانية للصباحية و اتجه نحو البيض، كما أمر سي حمزة بالتقدم نحو وادي زرقون بالقرب من قصر للباية بإتجاه وادي ميزاب⁵.

¹ يمكن الاطلاع على بعض تفاصيل محاولة التفاوض الفاشلة بين الجنرال لادميرول و ابن ناصر بن شهرة من خلال التقرير المؤرخ في 15 مارس 1852، المصدر: A.O.M 2H 6-8.

² Randon: Mémoires du Maréchal Randon, typographie Lahurb, Tome Premier, Paris 1875 p 77.

³ سي حمزة : هو سي حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في أواخر 1818 في قرية لبيض سيدي الشيخ، نشأ في زاوية أجداده، تعلم القرآن و اللغة العربية، و شب على ركوب الخيل و التدريب على السلاح استطاع أن يكسب ود الفرنسيين و هتتم فمينه خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى ورقلة، و قد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر بن شهرة، و في سنة 1860 نشب خلاف بينه و بين السلطات الفرنسية، فم نقله إلى العاصمة حتى توفي فيها سنة 1861، خلفه ابنه أبو بكر الذي تمكن من القاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله. أنظر:

Trumelet C : Les Français.... Op, Cit, Pp 80, 81

⁴ الرائد دوليني (Édouard-Jean-Étienne) Deligny: ولد في 12 ديسمبر 1815، تخرج من الكلية الحربية بسان سير سنة 1835، شارك في الكثير من الحملات في الغرب الجزائري، كما شارك في معركة إيسلي 1844، قُتِل سنة 1844، ثم عُقِد سنة 1852، ثم رُفِيَ إلى رتبة جنرال سنة 1855 بعد الأعمال التي قام بها في منطقة جرجرة. أنظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 202

⁵ Mangin : Op, Cit, P 42.

و بتاريخ 25 مارس 1852 سار الشريف محمد بن عبد الله بالقرب من الأغواط و اتجه نحو قصر للماية¹ حيث قام بمهاجمة أولاد يعقوب، و منها انتقل إلى وادي زرقون أين عسكر بالقرب من أولاد سيدي الشيخ، و هنا حدث ما لم يكن في الحسبان حيث قام سي حمزة بإرسال 3 فرسان للشريف محمد بن عبد الله لتبليغه الدخول تحت قيادته²

و لما علم الجنرال لادميرول بما حدث غادر الأغواط باتجاه تاجرونة³ و استقر عند منابع وادي صقر ليقرب من الشريف، هذا الأخير الذي أخذ الطريق نحو الجنوب، اما سي حمزة فقد كان قلق فالتف نحو وادي صقر و توقف عند أسوار برزينة.

و بتاريخ 2 أفريل و بسبب هذه التطورات غير الرائد دوليني من مساره و اتجه نحو ستيتن من أجل مراقبة قصور برزينة و الغاسول و احتواء مشتريات أولاد سيدي الشيخ الغاربة و الأغواط اكسل، و دخل في مفاوضات مع سي حمزة الذي وقع في ضغط بسبب حصاره من قبل قوات دوليني و قوات لادميرول فاضطر إلى الاستسلام⁴.

و بتاريخ 7 أفريل أخذ الرائد دوليني طريقه نحو الشمال مصحوبا بسي حمزة الذي قدم له 3 رسائل استلمها من الشريف محمد بن عبد الله لكي يرسلها إلى 3 شخصيات مهمة في الغرب و هي: الأولى إلى سي الشيخ بن الطيب زعيم بني معطر قرب وهران، و الثانية إلى سيدي محمد بن مكي رجل يملك نفوذ عند بني سناسن و المغاربة على الحدود، و الثالثة لسيدي محمد بن ملوك مقدم زاوية سي محمد بن زيعن مرسله لكافة شرفاء الغرب، و كانت هذه الرسائل تحمل في معانيها الحماس الديني و الدعوة إلى الجهاد، و كانت بالنسبة لقوات الاحتلال مؤامرة دينية تحاك ليس فقط عند قبائل جبل العمور و مقاطعة المدية بل كل سكان الحدود من الغرب و إلى الجنوب⁵.

و قد جاء في إحدى الرسائل و هي الموجهة إلى السيد الشيخ بن الطيب ما يلي:
" أعلمكم يا أخي أنني كنت في مكة لغرض الدراسة هناك، و قد بقيت أربع سنوات، في نهاية العام الماضي تلقيت أمر من شيخنا الذي هو الشريف سي محمد بن السنوسي رضي الله عنه للذهاب إلى

¹ قصر للماية: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 80 كلم.

² Mangin : Op, Cit, P 42.

³ تاجرونة: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 70 كلم .

⁴ Mangin : Op, Cit, P 42.

⁵ Mangin : Op, Cit, P, P43

الجزائر من أجل الدعوة إلى الحرب المقدسة، غادرت و وصلت ورقلة فوجدتها بحوزة الفرنسيين، فبقيت متخفيا لمدة شهرين تقريبا...لقد تم ايقاف خليفة الفرنسيين و تدمير قصره... لدينا جيش عظيم مؤلف من التوارق، الطرود، قصور بني ميزاب، كل الأرباع و الحرازية... و قد أرسل لنا الفرنسيون ثلاث طواير لقتالنا من جبل العمور، من بني الأغواط ، و من أولاد نايل، اجتمعنا بهم و قد هزمناهم و غنمنا منهم الكثير من الأغنام و الابل و البارود و قد قتلنا منهم نحو 300 رجل بينما مات من جيشنا 18 رجل... أرسل لنا من يريد أن ينظم إلينا و إن كنت خائفا فأبقى جالسا، إن الله يعلم ما في القلوب، تحية إلى أعمامي سيدي أحمد الحاج و سيدي الحاج الشيخ بن المدني...¹.

و كان من أمر سي حمزة أن عزله الجنرال بيليسي² Général Péliissier و وضعه في الإقامة الجبرية بوهرا و أوكل لأخيه سي النعيمي قيادة أولاد سيدي الشيخ، هكذا استطاعت القوات الفرنسية تحييد أولاد سيدي الشيخ و تجنب تمردهم الذي كان يمكن أن يحدث حصارا تاما عليها في الجنوب.³

4/ أسباب اندلاع انتفاضته سنة 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكوين عسكريا في مدرسة الأمير عبدالقادر الحربية و الوطنية و كان من فرسانه الشجعان ، و كان له تأثير كبير على الثوار في جمع الكلمة و الانضباط و نشر العاطفة الدينية و الوطنية⁴ إلا أن مشواره الجهادي قد بدأه منذ اعتلاءه قيادة الأرباع سنة 1846 حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي و ذلك بالرغم من العروض

¹ الرسائل الثلاث مؤرخة كلها في النصف الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1268 هـ الموافق ل نهاية شهر جانفي 1852 أنظر: Mangin : Op, Cit, P 112.

² الجنرال بيليسي (Amable Jean-Jacques), duc de Malakoff : ولد بتاريخ 6 نوفمبر 1794، تخرج من المدرسة الحربية بسان سير سنة 1815، ملازم سنة 1820، ثم نقيب سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 ثم عاد إلى فرنسا حتى سنة 1839، عاد إلى الجزائر بعدما رقي إلى رتبة عقيد، أصيب مرهين أثناء حملاته ضد المقاومة الشعبية ، قائد مقاطعة مستغانم ثم وهران، قاد الكثير من الحملات ، و صاحب أكبر المجازر التي أنجزها ضد قبائل الظهرة الشهيرة سنة 1845 ثم ضد الأغواط سنة 1852. أنظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 486

³ Mangin : Op, Cit, P 43.

⁴ أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 379.

المغربية التي كان القائد العام لمنطقة المدية " الجنرال لادميرول " يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، و كان آخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم كاروس " ¹ بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالشهبونية قرب بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التالية ².

و على غير العادة كانت في لهجة المبعوث " كاروس " وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض ، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار ، فخر هو وأخوه أبو بكر كميناً لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته ، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا وليلغوا من بعثهم بأن " ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين و الاستقلال " و هو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله ³.

و مباشرة بعد ذلك توجه ابن ناصر جنوباً نحو الأغواط و تحصن بقصر الحيران بعد أن تمول بالشكل الكافي ، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق و استقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري و تفاهما على العمل و التنسيق المشترك بينهما ، و

¹ يعود السبب في اختيار هذا الملازم كاروس لهذه المهمة لأنه يهودي و ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب ، لكن محاولته هذه باءت بالفشل.

² حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة هناك عدة مصادر تختلف عن بعضها فمثلاً:

ادعى لويس رين أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم و رفض الفرنسيون أن يعينوه أغا على الأرباع عام 1846 خلفاً لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه و وضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر :

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقداً قديماً لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة أب ابن ناصر) ، و لما أصبح ابن ناصر خليفة على الأغواط سنة 1846 نشب الخلاف بينهما ، فقرر ابن ناصر التخلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر : Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134

و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فلطالما عودتنا المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .

³ - يحيى بوعزيز: المرجع السابق ص 152

كان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851¹ كما اتصل سكان المدينة بابن ناصر بن شهرة و خاصة أعيانها للتعاون معه.

و فور وصول المبعوث "كاروس" إلى المدينة و أطلع "الجنرال لادميرول" على ما وقع له سارت المخاوف و الشكوك من اندلاع مقاومة في الصحراء لذلك توجه "الجنرال لادميرول" على رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و 500 فارس نحو الأغواط بأمر من الوالي العام "الجنرال راندون" موقع بتاريخ 17 فيفري 1852² تحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري 1852 و اتبعت الطريق الذي سلكه "الجنرال مونج" سنة 1844 - حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة - و وصلت إلى المنطقة بتاريخ 09 مارس، و لما أبلغ "الجنرال لادميرول" بقوة و مناعة ابن ناصر في قصر الحيران اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط ، و كانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التودد و العروض المغرية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك المقترحات، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدينة و اعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة و اقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة و عتبة أساسية للتوسع في الصحراء³.

إن اتصال ابن ناصر بن شهرة بشريف ورقلة محمد بن عبد الله في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب الجلفة شمالا إلى غاية ورقلة في الجنوب و إلى تقرت و بسكرة شرقا و ضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة كالخادمة و الأرباع و أولاد نايل و الشّعانة و غيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب .

و من أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة الشريف محمد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852 جنوب واد جدي ، و يسميها الفرنسيون بعملية "الكومندان كولينو"⁴ حيث زحفا الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين¹ دون

¹ louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

² Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmiraull (Fev-Mai1852)

A.M.G.2H14

³ Maréchal Randon: Op. Cit. p 77.

⁴ Ibid, P 79.

مقاومة فانضمت لهما أعداد من ثوار واد ريغ و الشعانة² و سعيد عتبة³، كما حاولا دخول تقرت بمساعدة سلمان الجلالي أحد منافسي سلطان تقرت عبد الرحمن الجلالي لكن هذه المحاولة باءت بالفشل فاتصلا مع ابن الأحرش في الجلفة للحصول على مساندته لكن هذه المفاوضات فشلت ، و بهذا كله أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة " كولينو " فـا كان من الأخير سوى توجيه ضربة إلى هؤلاء المقاومين فوجه قواته بشكل سريع في مساء يوم 20 ماي تتكون من أكثر من 200 بين فارس و صبايحية و قناصين ، و في اليوم الثاني 21 ماي جمع حوالي 700 فارس من قوم تلك المناطق ، كما تلقى مساعدات من بوسعادة بقيادة " الكومندان بان " و من باتنة بقيادة " الكولونيل ديفو . "

و التقي الجمعان صبيحة 22 من ماي⁴ فحول "الكومندان كولينو" توجيه ضربة جريئة وسريعة للثوار لكن حنكة ابن ناصر و محمد بن عبد الله جعلته يفشل و يتكبد خسائر كبيرة في صفوفه و ذلك من خلال حرب الكر و الفر نظرا لقلّة العدد و العدة مقارنة بالقوة الفرنسية، وتذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلًا و الكثير من العتاد⁵.

بعد هذه المعركة انسحب كل من ابن ناصر و محمد بن عبد الله جنوبا إلى ورقلة و بالضبط إلى الرويسات حيث تم عقد اجتماع بين شهري جوان و جويلية قصد تقييم الوضع و رسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع ، فتم الاتفاق على جعل مدينة الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار ، وقد شرع في تنفيذ هذه الخطة مع نهاية شهر جويلية حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيران بتاريخ 31 جويلية 1852⁶ و استقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها

¹ نقوسة و تماسين واحات تقع إلى الشمال من ورقلة على ضفاف وادي ريغ.

² الشعانة قبيلة كبرى تسكن نواحي متيلي جنوب غرداية.

³ سعيد عتبة قبيلة كبرى من قبائل ورقلة.

⁴ تعتبر هذه المعركة أول معركة حقيقية قادها ابن ناصر ابن شهرة ضد القوات الفرنسية رفقة محمد ابن عبد الله.

⁵ عادة ما تكتفي المصادر الفرنسية بذكر الخسائر البشرية في صفوف المقاومة و تتحاشى ذكر الخسائر الفرنسية . أنظر :

Randon: Op. Cit. p.80

⁶ أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

التحصينات و نظم التكوين و كان هدفه من تحصين قصر الحيران¹ هو جعلها مركز لجمع المجاهدين و الثوار من كل المناطق المجاورة .

و بالفعل فقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 و كان أول الوافدين الثائر " التلي بالأكل" و معه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة (أولاد نائل) و بتاريخ 24 سبتمبر وصل " يحيى بن معمر " رفقة وفد عظيم من الأغواط و الذين رفضوا تواجد الحامية العسكرية الفرنسية بمنطقتهم وأيدوا سياسة ابن ناصر الثورية² ، كما إنظم له يحيى بن سالم شقيق أحمد بن سالم³ ، ثم التحق به شريف ورقلة محمد بن عبد الله ، فاتجها من قصر الحيران إلى مدينة القرارة⁴ للتسليح والتكوين.

و فور وصول هذه الأخبار إلى السلطات الفرنسية ، أدركت أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها لذلك عزم " الجنرال يوسف " القائد العام لمنطقة المدية - و الذي خلف " الجنرال لادميرول - Ladmirault " على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في مدينة الجلفة و قد اختار هذه المنطقة لكونها النقطة الرابطة بين بوغار و الأغواط و هي قرية من هذه الأخيرة تسمح بمراقبة الثائرين بها⁵.

و لما علم "الجنرال يوسف" بقدوم قوة ابن ناصر بن شهرة و محمد بن عبد الله باتجاه الأغواط سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصددهم عنها ، و كان قبل سيره ذاك قد بعث برسائل إلى سكان الأغواط يحثهم فيها على عدم استقبال المقاومين لأنهم يشكلون خطرا عليهم ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل بالرغم من وصولها لمدينة الأغواط حيث تم ترتيب بعض الأمور الخاصة بالحامية الفرنسية هناك، ثم رجع الجنرال بمحملته إلى الجلفة يوم 17 أكتوبر مبررا فشله بعدم المجازفة في

¹ قصر الحيران : مدينة تبعد أربعين كم إلى جنوب الأغواط اتخذها ابن ناصر ابن شهرة أول مركز قيادة متقدم بالنسبة للمناطق الجنوبية وقاعدة خلفية لمدينة الأغواط.

² أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

³ تلساني بن يوسف : مرجع سابق ص 225

⁴ القرارة : واحة تقع إلى الشرق من غرداية و هي النقطة الوسط بينها و بين ورقلة و وادي سوف.

⁵ Random: Op. Cit. .p. 108

منطقة يجهلها و هي بعيدة عن أقرب مركز للقيادة الموجود بالمدينة و لأن مركز الجلفة ما زال في طور البناء¹.

و بعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة أخيه سي النعيمي² رفقة الشريف محمد بن عبد الله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور و ذلك لجمع أكبر عدد ممكن من الثوار تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة حيث كانا على رأس قوة تتألف من 500 فارس و 300 جندي مشاة و استطاعا من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة وهران وخاصة سكان عمور ، و الأحرار³ ، و الأغواط أكسل⁴ الذين انتفضوا في تلك المناطق⁵.

و كان سكان الأغواط و على رأسهم ابن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل القادمة من التل و الحملة بالقلمح و المؤون قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار و كان ذلك من القضايا ذات الطابع الاستراتيجي و التي اتسم بها تفكير ابن ناصر ابن شهرة⁶ ، و بعد وصول ما كان منتظر و بتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة و على رأسهم الملازم بن أحميدة⁷ ، فجردتهم من أسلحتهم و طردتهم من المدينة بتاريخ 31 أكتوبر 1852⁸ حيث وصل ابن أحميدة إلى مركز القيادة الفرنسية بالجلفة يوم 01 نوفمبر 1852.

¹ Ibid. p. 109

² الثائر سي النعيمي لا نعلم عنه الكثير سوى أنه أخ لابن ناصر ابن شهرة وأحد أبطال انتفاضته و قد لازمه كثيرا ، و هو الذي أرسله ابن ناصر يحمل رسالة إلى باي تونس محمد باشا أنظر : يحيى بوعزيز: نفس الرجوع السابق ص 154

³ عمور : هم سكان نواحي آفلو، و الأحرار: هم سكان نواحي تيارت.

⁴ الأغواط أكسل : هم سكان مدينة البيض.

⁵ Randon : Op. Cit. p.110

⁶ نلاحظ هنا دراية ابن ناصر ابن شهرة بالقواعد الاستراتيجية للحرب فهو يدرك تماما أن دخول الحرب ضد فرنسا دون وصول قوافل المؤونة القادمة من الشمال يمكن أن يعرض المدينة للخطر خاصة إذا ضربت القوات الفرنسية حصارا عليها و هذا شيء مهم في فنون القتال .

⁷ ابن أحميدة : عينته القوات الفرنسية قائدا لفرقة الصبايحية التي شكلت بالأغواط سنة 1851 و قد قدم خدمات كبيرة

للاستعمار أنظر : Du Barail : Op. Cit. p.p.30.31.

⁸ تعتبر هذه الحادثة هي الحجة التي اعتمدتها فرنسا للسيطرة على المدينة ففي ظل تمرد هذه الأخيرة عازمت فرنسا على القضاء نهائيا على ابن ناصر ابن شهرة و احتلال الأغواط

و أصبح الوضع بذلك مقلقا جدا و مهدد للوجود الفرنسي في مناطق كان قد وصلها هذا الأخير منذ مدة ، لذلك زود الحاكم العام قوات "الجنرال يوسف" بسريتين من القناصة و سريتين من الصبايحية و كتيبة للرماة و كلفه بتعقب المقاومين ابن ناصر ابن شهرة و محمد بن عبد الله ، وكذلك فان قائد مقاطعة إقليم قسنطينة زوده بقوات عهد لقائد الحامية في بوسعادة بقيادتها رفقة مؤونتها اللازمة و وضعها تحت تصرف "الجنرال يوسف" ، كما تشكل طابور سريع التحرك في بسكرة بعناية " الجنرال مكماهون" كلف بملاحقة ابن ناصر و محمد بن عبد الله اللذين سيطرا على مناطق في الشرق¹.

و للضغط أكثر على ابن ناصر بن شهرة و الشريف محمد بن عبد الله و الثائرون معهم و من أجل إعادة الثقة إلى سكان الصحراء و طمأنتهم حاولت السلطات الاستعمارية محاصرة الحدود التي ينشطان بها فبالإضافة إلى تجنيد القوات التي سبق ذكرها توجه " الجنرال بيليسي " قائد مقاطعة وهران رفقة " الجنرال بوسكارين " إلى البيض على رأس قوة مؤلفة من :

* كتيبتين من الزواف 1250.....

* كتيبة الخط الخمسين 600.....

* نصف الكتيبة الأولى الإفريقية 600.....

* ثلاث سريات قناصة 330.....

* سرية واحدة من الصبايحية 110.....

مجموعها 2890 جندي و قاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية في الجنوب و قد عين الحاكم العام " المارشال راندون "Randon"الجنرال بيليسي Pélissier " قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب².

و فور سماع " الجنرال يوسف " Yusuf ما حدث من ثورة سكان الأغواط على جنود الحامية حتى تجهز من مركز قيادته الجديد بالجلفة و قصد الأغواط على رأس قوة كبيرة تقدر ب 20 ألف جندي³ ، و في تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر

¹ Randon : op. Cit. p. 111

² Randon : op. cit. p.p.111.112

³ كانت هذه الحملة محاولة لاحتلال المدينة لكن المقاومين ابن ناصر ابن شهرة و محمد بن عبد الله تصديا له قبل وصوله لها.

أنظر : Ibid. p. 112.

قصر الحيران، فحاول "الجنرال يوسف" Yusuf قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر في "ميروسة" على بعد 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ 18 نوفمبر وفي اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين.

و أمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة و محمد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاك يوم 21 نوفمبر تكبد فيها العدو الفرنسي خسائر كبيرة إضافة إلى بعض قاداته كالنقيب "أشطايل"¹، و هو الأمر الذي جعل "الجنرال يوسف" Yusuf ينسحب إلى قصر العسافية² في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط تحت تكبيرات و تهليل السكان، وقد بدأوا على الفور في عمليات التحصين و التحضير للمواجهة الحاسمة مع العدو³. وللإشارة هنا فإن قصر العسافية كان مستودع الذخيرة لابن ناصر ابن شهرة حيث أقام فيه مصنعا للبارود تحت الأرض، لكن القوات الفرنسية لم تنتبه لذلك.

5/ دوره في انتفاضة مدينة الأغواط:

عملت الإدارة الاستعمارية على بث روح النزاع و الفرقة بين القادة و الزعماء من القبائل و شيوخ الزوايا مما أدى إلى زعزعة المنطقة و نشوب اضطرابات في غاية الخطورة في الوقت الذي اشتعل فيه فتيل مقاومة الزعاطشة 1849، وهي كلها معطيات أقيمت فرنسا بضرورة شن حملة على الأغواط التي شهدت اندلاع انتفاضتها و ظهور قيادات مقاومة بها، و كان الاستعمار الفرنسي حريص كل الحرص على احتلال هذه النقطة بالذات لأنها ذات موقع استراتيجي هام وأحد الأعمدة الأساسية للسياسة الاستعمارية ذات الأهداف بعيدة المدى لاحتلال الصحراء الكبرى و جزء كبير من إفريقيا جنوب الصحراء فالأغواط تشكل:

1/ مركز متقدم لجنود الحراسة.

2/ بوابة للصحراء وقاعدة عسكرية يمكن التوسع منها إلى مناطق صحراوية أخرى .

¹ Du Barail : op. Cit. pp. 32.33

² قصر العسافية : يقع إلى الشرق من مدينة الأغواط و يبعد عنها حوالي 14 كم. يعرف اليوم بالعسافية

³ يذكر "الجنرال راندون" أن قوات ابن ناصر قد فقدت مئات الرجال بينما ذكر أن القوات الفرنسية. شهدت قتلى و جرحى دون ذكر الأرقام لكن من المؤكد أن انسحاب القوات الفرنسية إلى الخلف دليل خسارتها للمعركة . أنظر :

3/ نقطة استراتيجية متساوية البعد بين الجزائر و القليعة و ورقلة و قريية من البيض و أولاد سيدي الشيخ و تسمح بأخذ جبال العمور من الخلف و هي أقرب نقطة استراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر.

4/ مركز تموين الجيوش و إيوائها و محطة للمياه.

5/ نقطة مراقبة تجارة الميزاب نحو التل و نقطة ارتكاز و حماية القوافل مثل معاهدة 1853¹.

6/ قاعدة عسكرية و موقع جيد لكل التحركات

7/ الموقع العسكري للأغواط يسمح بملاحظة و مراقبة و تحديد تحركات السكان إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

8/ تشكل الأغواط و بسكرة و بوسعادة و البيض حزاما للأمن لكل شمال الجزائر.

9/ من الأغواط و في حالة أي عصيان مدني على بعد 400 كم فان القوات العسكرية يمكن أن تتدخل في كل الاتجاهات من عين الصفراء إلى تقرت إلى القليعة

10/ منتجات الأغواط الفلاحية و تجارتها تسمح لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل و إرغام السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري².

كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الاستعمارية بشكل جيد ، كما كان يدركها أيضا ابن ناصر بن شهرة لذلك فان الصراع كان على أشده للسيطرة على هذه المنطقة، و عليه فان الاستعمار لم يستطع أن يسيطر عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله و بأعداد كبيرة ، فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها و كانت موزعة كما يلي³:

* من الشمال الجنرال يوسف Yusuf

* من الشمال الغربي العقيد تروملي Trumelet

¹ هذه المعاهدة موقعة بتاريخ 29 ماي 1853 و هي عبارة عن نصب حماية تضمن للطرفين واجبات و حقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب و تنص على دفع أهل ميزاب ضريبة سنوية للفرنسيين تقدر ب 45 ألف فرنك مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهم و استقرار تجارتهم مع المغرب وتونس و من بين شروط الاتفاق أن تحمي فرنسا أهل ميزاب في المدن و التل على أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا ، و كان هدف فرنسا من توقيع هذه الاتفاقية هو توحيد بني ميزاب من تأييد الثورة في الجنوب للزيد من المعلومات أنظر :

•Koyne : Le Mzab, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879 , P 200

² Mangin : op. Cit. p.172

³ Du Barail : op. Cit. p. 47

- * من الغرب الجنرال بيليسي Pillissier
 - * من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارين Bouskaren
 - * من الجنوب الشرقي العقيد بان Pein
 - * من الشرق الرائد موران Morand
- وهذا تفصيل لأهم القوات التي حاولت القضاء على انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة و احتلال مدينة الأغواط¹

- 1/ فصل قوات الفرقة الأولى و الثالثة و الرابعة للمدفعية.
 - 2/ فصل الفرقة الثالثة للمهندسة.
 - 3/ انشط الخمسون مع كتيبة تحت قيادة " العقيد جرارد" .
 - 4/ انشط الستون مع كتيبتين تحت قيادة " العقيد ماركيز دولينار" .
 - 5/ الفرقة الأولى من الزوافين مع كتيبة تحت قيادة " الرائد باروا" .
 - 6/ الفرقة الثانية من الزوافين مع كتيبتين تحت قيادة كل من " العقيد كليرك" و الرائد موران " و " الرائد ملافوس" .
 - 7/ الكتيبة الأولى للمشاة الإفريقية الخفيفة تحت قيادة " الرائد ليبيرت" .
 - 8/ كتيبة للرماة تحت قيادة "الرائد روز" .
 - 9/ فصل من فيلق للرماة من إقليم قسنطينة.
 - 10/ أربع سريات للفرقة الثانية للصيادين إفريقيا تحت قيادة "العقيد رام" .
 - 11/ سريتان للفرقة الأولى للصباحية تحت قيادة "الرائد فرانك" .
 - 12/ سريتان للفرقة الثانية للصباحية تحت قيادة "الرائد دولاتور لوندو"²
- و قد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر و إلى غاية 02 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف و الذي استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود ، و جرت المعركة الفاصلة من 02 إلى 04 ديسمبر 1852 تاريخ سقوط مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة و مقاومة عنيدة

¹ Trumelet: op. Cit. .p.79

² الشيء الملفت للانتباه أن فرنسا عند احتلالها لمدينة الأغواط جهزت قوات كبيرة لذلك و هذا لعلها بحصانة المدينة من جهة و عدم استسلام سكانها بسهولة و لوجود قيادة بها تعلم جيدا فنون القتال ، و هي بذلك احتلت جزائر أخرى بحسب قول أحد القادة الفرنسيين .

جدا¹ من قبل المقاومين و على رأسهم ابن ناصر ابن شهرة و الشريف محمد بن عبد الله². حيث جرح هذا الأخير و أخرجه ابن ناصر ابن شهر من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي³.

ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة⁴ فقد قتلت ثلثي سكانها أي حوالي 2500 شهيد من أصل 3600 ساكن في ذلك الوقت، كما عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت، و يطلقون النار دون أي تمييز و ينهبون و يسلبون الأثاث و النقود و الحلي⁵، و يحرقون المؤونة، و لم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد هذه الأخيرة التي دمر اثنان منها و حول الثالث إلى إسطل للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة، أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع و المرض و المهانة كأنهم حيوانات⁶، و منهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة و وضعتهم في أكياس أغلقت عليهم، ثم أحرقتهم قرب وادي أمزي و رمت ما يقارب 256 جثة في آبار، هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم، فأحد الضباط المشاركين في الحملة يقول: " حمل جنودنا على البلدة من كل صوب ... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك بكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم ... و تم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين .. " و يقول مرة ثانية: "... المجزرة كانت رهيبة و الأزقة مغطاة بالبحث ... كان الجنرال بيليسي Pélissier في أتم الابتهاج و الفرح و على جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيث فرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة و تناول

¹ L. Le Saint , E. Ardant : Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge, 1873 P113 .

² لتفاصيل أكثر حول سقوط المدينة أنظر في ذلك الكثير من الدراسات منها :

Randon: op. Cit. p. 114 voir aussi Fromentin : op. Cit. p. 85; voir aussi Du Barail : op. Cit. p. 26

³ L. Le Saint , E. Ardant : Op. Cit. P114.

⁴ يطلق سكان المدينة من ذلك الوقت على هذه السنة 1852 التي احتلت فيها المدينة " بعام الخلية "، أي أن المدينة قد خلت من كل ما فيها جراء جرائم الاستعمار.

⁵ Ch. A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine. (Paris – 1964), PP390.393

⁶ Du Barail : op. Cit. p.51

عليها غداه و هنا ضباطه على انجاز المهمة¹، ومما جاء في مذكرات " النقيب دوبراي Du Barail " : إن الجنرال بيليسي Pélissier اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة و اقتلاع نخيلها و ترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر²، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومونتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة ، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها ويواصل قائلا : " جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد و الأسلحة و الحلي... فيمكن القول أنه لم يبق منها شيء في الأغواط... كل البيوت فارغة، من أقرها إلى أغناها و تخالها مدينة رحل كل ساكنها"³.

خاتمة:

تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة 1850-1875 من أطول المقاومات الشعبية في الجزائر، و أوسعها من حيث الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها، كما تعتبر ذات بعد إقليمي عربي مسلم وليس وطني فحسب، فوطنيا شاركت فيها الكثير من القبائل و الكثير من الطرق الصوفية (كالقادرية و السنوسية و الشيعية و الرحمانية...) وإقليميا فقد كانت تونس أيضا ميدانا لهذه المقاومة خاصة منطقة نفطة و توزر و الجريد، كما شاركت الكثير من القبائل التونسية في هذه المقاومة، و أيضا نالت دعما من الدولة العثمانية و لو معنويا، الشيء الذي بين مدى التلاحم و التضامن بين الشعوب العربية و الإسلامية في ذلك الوقت، كما تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة من أهم المقاومات في الجنوب الجزائري التي قارعت التوسع الفرنسي و زحفه نحو الصحراء الجزائرية و عطلت مشاريعه و طموحاته بتكوين الإمبراطورية الفرنسية الواسعة في ظرف وجيز، كما تعتبر شخصية ابن ناصر بن شهرة من أهم الشخصيات التي تمتعت بحسها الوطني العالي تجسد ذلك من خلال مشاركته في الكثير من الثورات و المقاومات التي عاصرها، و شارك في الكثير من

¹ Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Pélissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852 ; 2H 14 . Voir aussi Randon : op. Cit. p. 114

² النقيب دوبراي : وهو الذي قتل قاضي الأغواط أثناء هذه الحملة ، ثم رقي فيما بعد إلى رتبة جنرال . كما رقي الجنرال بيليسي قائد الحملة إلى رتبة مارشال و ذلك كله بفضل ما قاموا به في الأغواط.

³ Eugène Fromentin: *Un été dans le Sahara*, 3^{ème} édition, Librairie Plon, Paris, 1877. p.87

معاركها كجندي مدافع، غير مدعيا للزعامة ولا للقيادة، تلکم هي بعض خصال ملاح الصحراء والذي لم يترجل عن صهوة حصانه إلا بعد أن بلغ من العمر عتيا.

المراجع المعتمدة:

- 1- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
- 2- أحمد قصيبة: ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 مجلة الأصالة عدد 06 ، جانفي 1972.
- 3- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980.
- 4- إبراهيم مياشي: أطماع فرنسا في الأغواط، مجلة الرؤية، عدد 02، 1996.
- 5- المبشر: عدد 95 شهر أوت 1851.
- 6- المبشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851.
- 7- المبشر: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.
- 8- المبشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.
- 9- Randon: Mémoires du Maréchal Randon, typographie Lahurb, Tome Premier, Paris 1875 .
- 10- Barbier J : Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie, Librairie De L. Hachette, Paris, 1855.
- 11- Ch. A Julien: Histoire de l'Algérie contemporaine. (Paris -1964).
- 12- Eugène Fromentin: Un été dans le Sahara, 3ème édition, Librairie Plon, Paris, 1877.
- 13- Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault (Fev-Mai1852). A.M.G, 2H14
- 14- L. Le Saint , E. Ardant : Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge, 1873 P113 .
- 15- Ladmirault : Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra, A.O.M 2 H 10

- 16- louis Rinn: L'insurrection De 1871 En Algérie, **Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 663.**
- 17- **Mangin** : Note Sur L'Histoire de Laghouat, **Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895**
- 18- **Koyne** : Le Mzab, **Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879.**
- 19- **Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar : A.O.M 10 H 78.**
- Charles Féraud:** Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs, **Alger 1887**
- 20- **Du Baril : Mes Souvenirs T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895**
- 21- **Lehuraux:** Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens) L'Armée D'Afrique N° 54, 6éme Année 1929
- 22- **Maguy Gallet-Villechange** : Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales, **Vitae, Parçay-sur-Vienne, France, 2008**
- 23- **Narcisse Faucon** : Le Livre D'Or De L'Algérie, **T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889**
- 24- **Trumelet:** Les Français dans le désert : journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien, **deuxième Édition, Challamel Ainé Editeur, Paris 1885.**

